مقتطفات من كتاب «كويتية في نيويورك» تسلط الضوء على محطات في مسيرة الأمير الراحل

إنه «صباح الأحمد»... وكفى

| بقلم ريم الميع |

كان صاحب السمو الراحل الشيخ صباح الأحمد يقول لي دوما «أنت صحافية زينة... بس لو ما تسألين». وكانت كلمة السر لانتزاع الجواب «شىدعوه با حافظ كلها كلمتين»!

تروق له الكلمة، وهي لفظة نسائية قديمة يندر استخدامها بين أبناء جيلى وتعبر عن الرجاء والعتاب... وكنت أتعمد استخدام كلمة غارقة في المحلية، ولو بدت بعيدة بعض الشيء عن المهنية، لتمرير رسالة أنى كويتية قبل أن أكون صحافية... وكانت تروق له

الكلمة فيبتسم، ثم يصرح. في السطور التالية، مقتطفات من كتاب «كويتية في نيويورك» أختصر من خلالها مواقف كانت لى دروساً في مدرسة «صباح الأحمد» لأكون بكل فخر خريجة لتلك المدرسة.

حكمة حاكم

دخلت مكتب حضرة صاحب السمو أمير الكويت الراحل الشيخ صباح الأحمد للمرة الأولى حين كان نائباً أول لرئيس مجلس الوزراء من دون موعد مسبق، في اليوم نفسه كان لديَ موعد سابق مع مسؤول أقل رتبة بكثير، تعارض الموعد مع ساعات عملي، فاضطررت لأخذ إجازة من جهة عملى الحكومي لأهمية الموعد بالنسبة إلي، وفى وقت ومكان الموعد المحددين رفض ذلك المسؤول استقبالي، تعذر بانشغال مفاجئ ولم يحدد لي مُوعداً أَخُر (حتى الآن) غادرت محبطة من الموعد الملغى والإجازة المهدرة، وقررت استثمارها بالذهاب إلى وزارة الخارجية، التي توليت مهام تغطيتها في جريدتي للتو، وعندما وصلت صادقت السفير أحمد الفهد، مدير مكتب الشيخ صباح، أبلغ الشيخ بوجودي، ودعانى الى دخول مكتبه، من دون طلب، دخلت غير مصدقة، ففي اليوم الذي أغلق مسؤول صغير بابه في وجهي كان أكبر مسؤول يفتح باب مكتّبه علىّ مصراعيه أمامي أي حين يغلق في وجهك بأب يفتح الله

في ذلك اللقاء، بعيداً عن الرسميات ولو قليلاً، سألت سموه: أي الألقاب أحب إلَّيك؟ فأجاب: صباح الأحمد.

أمامك باباً لم تطرقه.

روى لى سموه خلال اللقاء حكاية صحافية أميركية التقاها أثناء غزو الكويت في سنة 1990، في مقر الحكومة الكويتية الموقتة في الطَّائف، انتقلت بعده لتغطية حرب تحرير الكويت ميدانياً، وكيف سافرت هذه الصحافية إلى أقاصي العالم وهي فتاة، وتحملت المشاق والأخطار رغم صغر سنها، لتكون في قلب الحدث فقط، رغم أن لديها فرصاً كثيرة لأعمال أسهل وأفضل.

قال إن «ثمة فرصاً تاريخية تضع الإنسان في قلب التاريخ، شباهداً لا مشاهداً، وصانعاً لا سامعاً، وهي فرص تستحق التضحية لأجلها».

ثلاث رسائل نقلها رجل الكويت الأول في لقائه الأول: ثمة دروب رحية خلف الأبواب الموصدة، الأسماء تستمر والمسميات تتغير، المشاق تنتهى والتاريخ يبقى. شكلت حكم حكيم الكويت وحاكمها الثلاث نقلة نوعية في تجارب حياتي كافة، سواء المهنية أو

الدرس الأول من الرجل الأول

حدث لى موقف، عندما كان الشيخ صباح يدلّى بتصريح للصحافيين، فاتصلت بمديري لأساله أن يقترح على سؤالاً فاقترح على الجرف القاري، كانَ الشيخ صباح أنهى تصريحاته للتو، وأمام سيارته استوقفته للسؤال عن الجرف القاري قال لى: شفيه؟ قلت له: مادري... يعنى هل من جديد؟ يومها قال لي بالحرف: لكي تكوني صحافية يجب أنّ يكون لديك اطّلاع على الموضوع الذي

صعد سيارته، أغلق أبوابها، وأقفل الشباك ثم لوّح بيديه وغادر، كانت تلك الكلمات كافية لتكون منهج حياة، ثمة مثل كويتى يقول: كل طراق بتعلومة، أي كل صفعة درس، وبالنسبة لى تلقيت أكبر درس بأكبر صفعة من أكبر رجل في البلد، لا يؤمن الشيخ صباح بالتلقين للتعليم، لكنه يؤمن بالتوبيخ، أو لنقل: قسوة المحب ليصنع منك إنساناً أفضل لكن قسوته مساء تمحوها ابتسامته

كلام الشيخ صباح عن الجرف القاري وثق علاقتي بوسائل البحث لاحقاً، كان ذلك في بدأيات عصر غوغل، قبل الهواتف الذكية، وكانت الجريدة تحرص على مكافأتي بأحدث التقنيات، كنت أول محررة في «الـراي» تستخدم الد «لاب توب» الذي أهداه لي رئيس التحرير في عصر الكتابة الورقية بالأزرق وتصحيحها بالأحمر.

في أحد الأيام تعرضت لوعكة صحبة، وجبة العشاء عشية القمة العربية في شىرم الشيخ، التى شىهدت خلافاً بينَ خادم الحرمين الشريفين المغفور له الملك عبدالله بن عبدالعزيز والقذافي، وفى اليوم الذي يليه، بدأت عملي بتصريح قوي من الشيخ صباح حول القمة، استنكر فيه كلام القذافي وقال «حتى الطفل يعرف أنه غير صحيح»



سمو الأمير الراحل في صورة مع ريم الميع

وكشف أنه قال للملك عبد الله في القمة «أنسحب إذا انسحبت» ورحب بمّبادرة

لكن الشيخ صباح لم يكتف بالإجابة عن أسئلتي، بل سأل عن سبب تسممي من دون أن أعرف كيف عرف عنه، قالً بحرص أبوي: «لا تاكلين خضراوات غس مطبوخة خارج البيت». وعن «دراما» رحلة الطيران أثناء سفري إلى شرم الشيخ ومنها، قال سموه بالحرص الأبوي نفسه: غلطانة ... ليش ما رجعتوا

سمو الرئيس

في 5 يوليو 2003 عقدت الانتخابات البرلمَّانية العاشرة في الكويت، والأولى بعد سقوط صدام، بعد زوال نظامه، يبدو أن الشيخ صباح تحرر من جزء كبير من مسؤولياته الخارجية بعد تحرير العراق، وزوال التهديدات العراقية، فتفرغ للداخل، صدر أمر أميرى بتكليف الشيخ صباح برئاسة مجلس الوزراء في 13 يوليو 2003، في اليوم الذي يلية في 14 يوليو شكلً سموه حكومته الأولَـى من 14 وزيـرأ حمل فيها السفير بنيويورك محمد أبو الحسن حقيبة الإعلام، في حين خلفه محمد الصباح في الخارجية، معتبرا نفسه «أكثر الوزراء حظاً» في حمل

حقيبة الشيخ صياح بعده. فى أول اجتماع ترأسه لمحلس الوزراء قال لوزرائه: أنا صباح الأحمد الأول، لم أتغير ولم يتغير شيء.

كان حدث مغادرة الشيخ صباح وزارة الخارجية يوازي حدث تعيينه رئيساً للوزراء في أهميته. فالشيخ صباح لمن يعرفه هو وزارة للخارجية بحد ذاته وليس وزيرا للخارجية فحسب، مكتبه فيه هو بيته، ففور معرفته بالغزو توجه إلى وزارة الخارجية وعقد اجتماعاته واتصالاته بالسفارات والبوزراء والجامعة العربية أيضاً، حتى اضطر لمغادرة المبنى عندما أوشكت القوات العراقية على محاصرته، وللجامعة العربية حكاية معه، فقبل الغزو سألته الإعلامية الأميركية الشهيرة باربارا والترز في لقاء متلفز صوره في شرفة مكتبه: لو تعرضت الكويت للخطر وسمح لك بإجراء مكالمة واحدة فقط مع من ستجريها؟ فأجاب من دون تردد: مع الجامعة العربية.

يشعر بالامتنان الشديد لكل ما يتعلق بتحرير الكويت الذي يعتبره أهم إنجازاته، فكلما سألته السؤال نفسه في مطلع كل عام: ما أبرز إنجازاتك التّى تعتز بها في العام الماضي؟ تتكرر الإجابة نفسها مع تكرار السؤال: تحرير الكويت هو الإنجاز الحقيقي. وفى تحرير الكويت كان الشيخ صباح الجندي المجهول النذي حارب على كل الأصعدة والميادين تاركاً لغيره الأضواء... مكتفياً بظل الخارجية.

ولأن للخارجية مكانة كبيرة لديه، تمنى عليه كثيرون أن يبقى وزيراً للخارجية ورئيساً للوزراء، كما فعل حمد بن جاسم لاحقا، وهو الأمر الذي حال دونه الدستور الكويتي، لكن ذلك لم يمنعه من الاستمرار في الدوام بضعة أشهر في مكتبه في وزارة الخارجية قبل الانتقال إلى مجلس الوزراء.

لدى مغادرته غادر جميع الموظفين مكاتبهم لتوديعه وهم غير مصدقين تلك المخادرة، وبعضهم اعتقد أنه سيعود صباح اليوم التالي ليجد الشيخ في مكتبه أو شرفته الملحقة بها (الشرفة نّفسها التي أجرت فيها باربرا والترز مقابلتها) آلتي اعتاد أن يطل منها بين الحين والآخر، فيلمح مديراً مغادراً أو قادماً فينبهه إلى الانضباط

في الدوام الذي يقدر ساعاته مثلما يقدر كلُّ لحظّات عطلة نهاية الأسبوع.

يجلس في مكتب خاله، بل تم ترميم (أسرتي وأنا) في طيارتنا!؟

المرأة السياسية، وتضمنت كلمة الكويت فيّ الجمعية العامة للأمم المتحدة التي ألقَّاها رئيس الـوزراء إشـارة للمرأةُ، بعدما وصل زخم حقوق المرأة السياسية إلى الأمم المتحدة في تنافس خليجي بالحضور النسائي: وزيرتان من عمان والامارات وسفيرة فوق العادة بحربنية تترأس الجمعية العامة في العام 2006 هي السفيرة هيا آل خليفة التي أجريت معها لقاء، كما أجريت لقاء طريفاً مع ليلى رشيد وزيرة خارجية الباراغواي قالت إنها عربية «نص ونص» اعتبرت العلاقات السورية - اللبنانية (في خلافاتها) مثل العلاقات بين أمى وأبى." كل ذلك في موازاة وجود وزيرة للخارجية الأميركية هي كونداليزا رايس، التي قالت عنها معصومة المبارك إنها كانت زميلتها في جامعة كولورادو، كانت كلتاهما تحمل درجة الدكتوراه،

ودرجة الدكتوراه هذه كانت سببأ في رفض رايس إجراء لقاء صحافي تقدمت بطلبه إلى مسؤول الإعلام في وزارة الخارجية بيتر كوفاتش، بسبب إغفال لقب دكتورة عند مخاطبتها بإرسال طلب اللقاء، تم من خلاله إرسال الأسئلة مكتوبة من دون أن يتم الرد عليها.

حضور الرئيس الإيراني أحمدي نجاد فى زيارة تاريخية لأميركا التقى خلالها الشيخ مزدحماً شمل المقابلات، مثالاً لا حصراً، وزير خارجية الإمارات الشيخ عبدالله بن زايد، الذي كان متحفظاً في التصريح بعد أن وصفنى د «المشاغبة». كما شملت اللقاءات التي قمت بتغطيتها ولى عهد البحرين الشيخ سلمان بن حمد الذي رفض التصريح.

مثل اللقاءات التي سبقته من دونّ تصريحات أعود لكتأبتها.

وعند وصولي مكان اللقاء في مقر إقامة الشيخ صباح اتضح وجود وفد إعلامى أميركى كبير رافق الرئيسين الأميركيين السابقين، في حين انحصر الحضور الإعلامي الكويتي بالجانب الرسمى المرافق لرئيس الوزراء ممثلا فى تلفزيون الكويت الرسمى ووكالة الأتباء الكويتية (كونا).

كانت الصحف الكويتية غائبة تماماً، ما أعطى حضوري أهمية مضاعفة وسمح لى بالسؤّال، وكان عن رأي ولم يجرؤ خلفه، وهو ابن أخته، أن

الإدارة بأكملها ليجلس وزراء الخارجية اللاحقون في مكتب قريب من مكتب الشيخ صباح الأحمد الذي غدا مدخلاً لإدارة مكتب الوزير. كان الشيخ صباح يجنى في الداخل والخارج ما زرعه في لستواتُ السابِقةُ، فالزراعة هوايتةُ، وخصوصا التي تتحدى التربة والظروف المناخية في غرس نباتات لا بتوقع لها العبش مُحلباً مناخباً؛ كالمشمش والخوخ.

قمة الألفية، سبتمبر 2005

أعلن رئيس الوزراء الشيخ صباح الأحمد عن مشاركته في القمة، وشُكلّ وفداً إلى نيويورك ضم في وقتها تلاثة وزراء هم: وزير الطاقة أحمد الفهد، وزير الخارجية محمد الصباح، وزيرة لتخطيط معصومة المبارك. كانت مشاركة معصومة دليلاً على

حرص الكويت على إبراز قرار مشاركة

كانت قمة مثيرة للجدل دشنها بالشيخ صباح الأحمد، وكان حدول

مع شبح التصريحات، ذهبت غير متوقعة الحصول على تصريحات اضافية من لقاء الشيخ صباح مع الرئيسين الأميركيين بيل كلينتون وسوش الأب، لدرجة أنى لم أتناول قهوتى قبل الذهاب لتغطية اللقاء الذي عقد في الصباح الباكر، على أمل العودة مجددا للنوم سريعا عندما ينتهي

الرئيسين بالمرأة الكويتية بعد أن نالت حقوقها كاملة، يبدو أن سؤالي أثار إعجاب الشيخ صباح الـذي التقطه واسترسل ليشرح: كما ترون لدينا سفيرة، وهو يشير إلى نبيلة ولدينا الـوزيـرة وهـو يشير إلـى معصومة، فقاطعه كلينتون قائلا «إني أحبها» عن معصومة التي حملت معها صورة سابقة لها معه راحت تعرضها عليه ويستذكران مناسبات التصوير، طارت النومة، من دون قهوة، وكانت من أعظم اللحظات في تجربتي المهنية، عندما أكمل الشيخ صباح كلامه وهو يشير اليَ: ولدينا صحافية كذلك، بعد انتهاء اللقاء تقدمت لمصافحة الرئيسين والتقطت صورة تذكارية معهما، لم أستطع الحصول عليها، لكن المشهد كاملا متضمنا سؤالي وتعليق الشيخ صباح وتوسطى الرئيسين للتصوير

معهما عرض كأملا في نشرة أخبار

التاسعة في تلفزيون الكويت الرسمي

وشناهده والنداي بفخر بابنتهما التي

وضعا ثقتهما بها، وهي تذهب إلى

أقاصى العالم بحثا عن خبر هنا ومعلومة هناك. بعدها، لاحظ الشيخ صباح حضوري الدائم في جميع استقبالاته فسألنى: انت ليش مّا تروّحين السوق؟ تزامن سؤاله مع إجازة نهاية الأسبوع في نيويورك، ذهبت للتسوق في جادة مآديسون، لا أفكر في خبر أو تغطية، حتى عندما شاهدت كوفي أنان وحرمه يمران بمحاذاة مطعم نيلو الشهير لم أزعجهما بسلام أو بتحية، ولم أزعج نفسى بمعرفة إن جلسا في المطعم أم لا، ما أزعجني أنى عرفت لاحقا أن الفترة التي ذهبت فيها إلى السوق هي الفترة نفسها التي رتب فيها الشيخ صباح، على هامش القمة، لقاء بين أمير قطر الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني، ووزير الدفاع السعودي المفتش العآم الأمير سلطان بـن عـبـدالـعـزيـز، واسـتـطـاع

في تلك الفترة كان الشيخ صباح ما يزعجه رفض البعض تقاضى ثمن

خدمة أو سلعة يقدمونها له. فعندما ذهب ذات يوم للتسوق في إحدى الجمعيات التعاونية في الكويت، ورغم أنه ذهب مخفياً وجهة، متلثماً بغترته، إلا أن الناس عرفوه والتفوا حوله وصافحوه وصوروا معه، لكن ذلك لم يزعجه، بقدر ما أزعجه أنه عندما وصل إلى الـ«كاشىير» في الجمعية رفض البائع تقاضى ثمن مشترياته، الأمر الذي أغضبه ودفعه لترك الأغراض والإقرار بأن أهم أسباب تسوقه خلال السفر كونه محروماً من التسوق في

تواضع الهيبة

حكم الكويت خلالها ثلاثة أمراء في شهرواحد، تولى الشيخ صباح الحكم فى 25 يناير 2006 بعد أن انتقلت إليه

بعيداً عن الرسميات سألت سموه: أي الألقاب أحب إليك؟ فأجاب: صباح الأحمد

كان لى موعد مسبق مع مسؤول صغير رفض استقبالي ففتح لي أبواب مكتب الشيخ صباح بلا

ليست بداية عهد ونهاية عهد بل

في 29 يناير 2006 حضرت جلسة

مساء، أمسكت بهاتفي، وبعد

الاتصال عليه، وهو رقم عادي جدا

بالمناسبة، لا بلاتيني ولا ذهبي ولا فضي حتى، توقعته مقفلا لكنة رن،

توقعت ألا يرد أحد، لكنه رد، كعادته،

بعد العدد نفسه من الرنات، الصوت

نفسه، واللهجة نفسها، والشيخ

نفسه، فهو صباح الأحمد نفسه، لم

يتغير شيء، باركت له، أو باركت

لنا فيه، قلت مرتبكة على استحياء،

إننى شاهدته صباحاً ولم أتمكن

من السلام عليه، فرد سريعاً بعفوية

شىدىدة «والله ما شىفتك.. اصىلا لو

شفتك كان أنا اللي سلمت عليك» قد

يعتقد كثيرون - وأنا منهم - أن هذه

الجملة قيلت على سبيل المجاملة

اللطيفة لشخصي الضعيف، لكن

بعد عام، في قمة أوبك، في الرياض،

نوفمير 2007، كان يتقدم إلى مأدية

عشاء أقيمت على شرف المشاركين

فى القمة وعلى يمينه خادم الحرمين

الشَّريفين الملك عبد الله بن عبدالعزيز.

كنت ضمن المدعوين للمأدبة نفسها

وكانت الطاولة التي أجلس عليها

وَفق الترتيب البرتوكولي، تقع يسارا

فَى نهاية القاعة، ما يُتيح مرور

حضور المأدبة بالقرب من طاولتنا

القريبة من المدخل، وحين مر الشيخ

صباح التفت وابتسم ولوح بيديه

ومضى، فالتفت على كل الحضور،

قالوا لى «أنت مهمة لأن أمير دولة

الكويت تنفسه بادر بالسلام عليك»

أحبتهم: ولم افترضتم أني مهمة ولم

ربما لم يصدقوني وقتها، ولكن

بعد اختتام القمة، حَين شاهدوه،

مغادراً، تشجعوا، والتفوا حوله، فلم يمنعهم، على العكس سمح لهم

بالاقتراب، رحب بهم، صافحهم

وصافحوه، والتقطوا معه الصور،

كان الحاكم الوحيد الذي سمح لهم

بالاقتراب والمصافحة والتصوير

صورا جماعية وفردية. تكرر الموقف،

وكان يكرر سلوكه أميرا للتواضع،

يطوي الحواجز ويبتسم ليحيل

في احتفال آخر، سنة 2009 ذهبت

للسلام عليه بعد الاحتفال: قال له

مرافقوه «طال عمرك ريم الميع تبي

تسلم عليك» فجأة سمعته يردد وهو

يسير «وينها ريم وينها؟ أنا بسلم

بعد نحو عامين، في احتفال آخر

فى سنة 2011 توقفت للتصوير

معه، وكانت اللقطة منقولة على

الهواء على التلفاز، أطال الوقوف،

قال للمصورين مازحا: «يا ويلكم إن

ورغم أن الديوان الأميري التقط لى

صورة رسمية وأرسلها، إلا أن الذين

شاهدوا المشهد في التلفاز استنكروا

جرأتي في التصوير معه «تماما

مثلما أستنكروا قبلتي الأولى على

جبين جابر الأحمد» وما زلت أكرر:

لا أعرف لماذا افترضوا جرأتي ولم

مر الشريط في ذهني، لكل لقاء

ذكريات حجزت مكانها في الذاكرة

المزدحمة، ويصعب على مفردات

اللغة الوصول إلى تعريف صباح

الأول في نيويورك سبتمبر 2002

حمعنا اللقاء الأخير،في نيويورك

مجددا في سبتمبر 2015، في مأدبة

غداء أقيمت في بيت السفير، كنت لم

أره لمدة أربع سنوات وحين شاهدته

وجدته، الشيخ نفسه، والابتسامة

نفسها، اقتربت منه، صافحته،

فكرر العبارة نفسها «انت على طول

زينة بس لو ما تسألين».. لم أسأل،

فالجواب سبق السؤال، جملته لم

تتغير، لأنه صباح الأحمد، الذي لأ

تغيره المسميات، التي تسعى إليه ولا

يسعى إليها.

وبعد ثلاثة عشر عاماً من اللقاء

طلعتوها أحلى مني»

يفترضوا تواضعه؟

رهبة هيبة حضوره طمأنينة.

تفترضوا أنه متواضع؟

الشيخ صباح الأحمد إذا قال فعل.

ثلاث رسائل نقلها رجل الكويت الأول في لقائه الأول: ثمة دروب رحبة خلف الأبواب الموصدة... الأسماء تستمر والمسميات تتغير... المشاق تنتهى والتاريخ يبقى

الدرس الأول الذي تعلمته منه: لتكونى صحافية يجب أن يكون لديك اطلاع على الموضوع الذي ستسألين عنه

في قمة شرم الشيخ... وبعد الإجابة عن أسئلتي سأل عن سبب تسممي... ثم قال بحرص أبوي: «لا تاكلين خضراوات غير مطبوخة خارج البيت»

كلما سألته في مطلع كل عام: ما أبرز إنجازاتك التي تعتز بها العام الماضى؟ تتكرر الإجابة نفسها: تحرير الكويت الإنجاز

لدى مرافقتي الشيخ صباح إلى

قمة الألفية بنيويورك لاحظ حضوري الدائم في جميع استقبالاته فسألنى: أنت ليش ما تروحين السوق؟ كان يعتبر التسوق متعته إنما ليس من المتاجر الفخمة بل من المحال التي يمكن أن يكون على

أكثر ماكان يزعجه رفض البعض تقاضي ثمن خدمة أو سلعة يقدمونها له

سجيته فيها

غياب الشيخ صباح كمادة صحافية بعد توليه مسند الإمارة أفقد الصحافة الكويتية نكهتها بعد أن كان حدثها وحديثها

في احتفال عام 2011 توقفت للتصوير معه فقال للمصورين مازحاً «يا ويلكم إن طلعتوها احلی منی» بإرسالي إلى السوق إبعاد فضولي الصحافي عن اللقاء بدبلوماسيته هو

مولعاً بالتصوير واقتناء الكاميرات الحديثة، ويعتبر الشيخ صباح التسوق متعته، إنما ليس من المتاجر الفخمة، بل من المحال التي يمكن أن يكون على سجيته فيها، فهو المفاوض الذي لا يكل ولا يمل حتى في وقت فراغه، أليست الديبلوماسية في نهاية المطاف فن المفاصلة في سوق المصالح، وفن الدفع حينا وتقاضى الثمن حينا آخر؟ فليس ثمة شيىء بلا تمن، لذا، فإن أكثر

بعد أزمة حكم استمرت 10 أبام،